

تفسير ابن كثير

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ
دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ^{قُلْ} أُولَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ

ولشدة ما أخبر الله تعالى [به] عنهم ، قال لرسوله : (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب)

يقول تعالى مخبرا عن قيل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب : (ربنا أخرنا إلى أجل

قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل) كما قال تعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب

ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم

يبعثون) [المؤمنون : 99 ، 100] . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم

ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون من ما رزقناكم من

قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من

الصالحين) [المنافقون : 9 ، 10] وقال تعالى مخبرا عنهم في حال محشرهم : (ولو

ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا

موقنون) [السجدة : 12] وقال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد

ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ([الأنعام : 27 ، 28] وقال تعالى : (وهم يصطرخون
فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) [فاطر : 37] . وقال تعالى رادا عليهم في
قولهم هذا : (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي : أولم تكونوا تحلفون
من قبل هذه الحال : أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه ، وأنه لا معاد ولا جزاء ، فذوقوا هذا
بذاك . قال مجاهد وغيره : (ما لكم من زوال) أي : ما لكم من انتقال من الدنيا إلى
الآخرة ، كما أخبر عنهم تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
بلى وعدا عليه حقا) [النحل : 38] .